

تفسير البحر المحيط

@ 151 | صلى الله عليه وسلم) . وقال قتادة : الآية منسوخة بقوله : { قَاتِلُوا^١ }
السَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ { الآية . وقرأ الجمهور : إلا ، حرف استثناء ؛ وابن عباس : ألا ،
حرف تنبيه واستفتاح ، وتقديره : ألا جادلوهم بالتي هي أحسن . { وَقُولُوا^٢ ءَامَنَّا }
: هذا من المجادلة بالأحسن . { بِاللَّذَى أُنزِلَ إِلَيْنَا } ، وهو القرآن ، {
وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ^٣ } ، وهو التوراة والزبور والإنجيل . .
وفي صحيح البخاري ، عن أبي هريرة : كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ،
ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) : (لا تصدقوا أهل
الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم) . { وَكَذَلِكَ^٤ }
: أي مثل ذلك الإنزال الذي للكتب السابقة ، { أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ^٥ الْكِتَابَ } : أي
القرآن . { فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ^٦ الْكِتَابَ } هم : عبد الله بن سلام ومن آمن معه .
{ وَمِنْ^٧ هَؤُلَاءِ } : أي من أهل مكة . وقيل : { فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ^٨ الْكِتَابَ }
: أي الذين تقدموا عهد الرسول ، يؤمنون به : أي بالقرآن ، إذ هو مذكور في كتبهم أنه
ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم) . { وَمِنْ^٩ هَؤُلَاءِ } : أي ممن في عهده منهم .
{ وَمَا يَجْحَدُ^{١٠} بِذَاتِنَا } ، مع ظهورها وزوال الشبهة عنها ، { إِلَّا^{١١} الْكَافِرُونَ }
: أي من بني إسرائيل وغيرهم . .
قال مجاهد : كان أهل الكتاب يقرأون في كتبهم أن محمداً عليه السلام ، لا يحظ ولا يقرأ
كتاباً ، فنزلت : { وَمَا كُنْتَ تَتْلُو^{١٢} مِنْ قَبْلِهِ } : أي من قبل نزوله عليك ، {
مِنْ كِتَابٍ } : أي كتاباً ، ومن زائدة لأنها في متعلق النفي ، { وَلَا تَخُطُّهُ } : أي
لا تقرأ ولا تكتب ، { بِرِيَمِينَكَ } : وهي الجارحة التي يكتب بها ، وذكرها زيادة تصوير
لما نفي عنه من الكتابة ، لما ذكر إنزال الكتاب عليه ، متضمناً من البلاغة والفصاحة
والإخبار عن الأمم السابقة والأمور المغيبة ما أعجز البشر أن يأتوا بسورة مثله . أخذ يحقق
، كونه نازلاً من عند الله ، بأنه ظهر عن رجل أمي ، لا يقرأ ولا يكتب ، ولا يخالط أهل العلم
، وظهر هذا القرآن المنزل عليه أعظم دليل على صدقه ، وأكثر المسلمين على أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم) لم يكتب قط ، ولم يقرأ بالنظر في كتاب . .
وروي عن الشعبي أنه قال : ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، حتى كتب وأسند النقاش
، حديث أبي كبشة السلولي : أنه صلى الله عليه وسلم) ، قرأ صحيفة لعيينة ابن حصن وأخبر
بمعناها . وفي صحيح مسلم ما ظاهره : أنه كتب مباشرة ، وقد ذهب إلى ذلك جماعة ، منهم

أبو ذر عبد الله بن أحمد الهروي ، والقاضي أبو الوليد الباجي وغيرهما . واشتد نكير كثير من علماء بلادنا على أبي الوليد الباجي ، حتى كان بعضهم يسبه ويطعن فيه على المنبر . وتأول أكثر العلماء ما ورد من أنه كتب على أن معناه : أمر بالكتابة ، كما تقول : كتب السلطان لفلان بكذا ، أي أمر بالكتب . { إِذَا لَازَرْتُ تَابَ الْمُطِيعُونَ } : أي لو كان يقرأ كتباً قبل نزول القرآن عليه ، أو يكتب ، لحصلت الريبة للمبطلين ، إذا كانوا يقولون : حصل ذلك الذي يتلوه مما قرأه ، قيل : وخطه واستحفظه ؛ فكان يكون لهم في ارتيابهم تعلق ببعض شبهة ، وأما ارتيابهم مع وضوح هذه الحجة فظاهر فساده . والمبطلون : أهل الكتاب ، قاله قتادة ؛ أو كفار قريش ، قاله مجاهد . وسموا مبطلين ، لأنهم كفروا به ، وهو أمة بعيد من الريب . ولما لم يكن قارئاً ولا كاتباً ، كان ارتيابهم لا وجه له . { بَلِّغُوا هُوَ } : أي القرآن : { بَيِّنَاتٍ فِاسْأَلُ } : واضحات الإعجاز ، { فَرَى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ } : أي مستقرة ، مؤمن من بها ، محفوظة في صدورهم ، يتلوها أكثر الأمة ظاهراً ، بخلاف غيره من الكتب ، فليس بمعجز ، ولا يقرأ إلا من الصحف . وجاء في صفة هذه الأمة صدورهم : أنا جيلهم ، وكونه القرآن ، يؤيده قراءة عبد الله ، بل هي آيات . وقيل : بل هو ، أي النبي وأمورة ، آيات بينات ، قاله قتادة . وقرأ : بل هو آية بينة على التوحيد ؛ وقيل : بل هو ، أي كونه لا يقرأ ولا يكتب . ويقال : جددته وجدته به ، وكفرته وكفرت به ، قيل : والجحود الأول معلق بالواحدنية ، والثاني معلق بالنبوة ، وختمت تلك